خطبة صلاة الجمعة 11/ 3/ 2016 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(سلسلة: تربية الأبناء) (الخطبة التاسعة: تربية أبناء الرابعة والخامسة والسادسة –2–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : 6]

قال سيدنا عليّ رضي الله عنه: قوا أهليكم نَارًا علّموهم وأدّبوهم. وقال قتادة: مروهم بطاعة الله تعالى، وانهوهم عن معصية الله.

قال الزمخشري: قُوا أَنْفُسَكُمْ بترك المعاصي وفعل الطاعات وَأَهْلِيكُمْ بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم. «رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعلّ الله يجمعهم معه في الجنة»

أخرج الترمذي بإسناد مرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**».

أيها الإخوة:

الحياة الزوجية محراب من محاريب العبادة، وتربية الأبناء باب من أبواب القرب إلى الله تعالى، ولهذا جاءت هذه السلسلة من الخطب عنوانها – تربية الأبناء– لعلنا نفيد منها جميعا في زيادة قربنا إلى الله ببرنا بأبنائنا ورعايتنا لهم.

عنوان خطبة اليوم: (تربية أبناء الرابعة والخامسة والسادسة –2–)

أيها الإخوة:

تكلمت الخطبة الماضية عن اللعب والحوار أهم احتياجين لهؤلاء الأبناء ، وتتحدث خطبة اليوم عن أهم مشكلة في هذه المرحلة العمرية المهمة، ولا تنسوا –أيها الإخوة– أن هذه المرحلة مع سابقتها هما أساس النمو المستقبلي، وأن علماء النفس مجمعون على أن هاتين المرحلتين من العمر توضع فيهما أسس شخصية الإنسان.

ومن هنا سأحدثكم اليوم عن: **تقليد أطفال الرابعة والخامسة والسادسة لمن حولهم** وخطورة ذلك في تربيتهم.

أيها الإخوة:

يحب أطفال الرابعة والخامسة والسادسة تقليد الآخرين، وعلى الأخص تقليد آبائهم وأمهاتهم، فيرتدي ابن الرابعة حذاء أبيه ليمشي به في البيت ، وتحمل بنت الخامسة حقيبة أمها وتمشي بها في الغرفة، يقف ابن الرابعة على سجادة الصلاة التي تقف عليها ليتحرك حركاتك في الصلاة فإذا سجدت امتطى ظهرك لاعباً، وترتدي ابنة السادسة غطاء صلاة كغطاء صلاة أمها لتقف أمامها وتصلي، فإذا جلست الأم جلسة التحيات قامت البنت لتجلس في حجر أمها ، وتتعجب من حركة سبابتها عند التشهد.

وتقليد الآخرين وإن يكن وسيلة مهمة ومفيدة جداً في تربية سلوك ومعتقدات الأبناء، لكنه على درجة من الخطورة إن لم يوافق قول الوالدين أفعالهما، أو إن كان التقليد لمن لم يستقم دينه وخلقه.

إن الطفل ينقاد إلى سلوك معين ؛ ليس لأنه معبَّر عنه بالكلمات بل لأنه مجسد بواسطة من هو ذو سلطة بالنسبة إليه، ومن هنا فأطفالكَ يرونكَ ويفعلون كما تفعل وليس كما تقول، وأطفالكِ يرونكِ ويفعلون كما تفعلين، وليس كما تقولين؛ ومن هنا تأتي خطورة التقليد والمحاكاة من عمر هؤلاء الأطفال.

جاء في كتاب (**الأطفال المزعجون**) للدكتور مصطفى أبو سعد وهو دكتور في علم النفس واستشاري تربوي ونفسي، له العديد من المؤلفات المهمة أنصحكم بالاطلاع عليها. يقول المؤلف تحت عنوان المبرمج الأول لأبنائك أنت: (برمجة السلوك والقيم والمعتقدات يكون مصدرها الأول والأساس الوالدين، كما يؤكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه «**فأبواه يهودانه أو ينصراه أو يمجسانه....** »–البخاري ومسلم– وكما تؤكد معظم الدراسات الإنسانية).

ثم يكتب الدكتور أبو سعد على لسان طفل يقول لأمه حيناً ولأبيه حيناً آخر: (عندما ظننتَ أنني لم أكن أنظر ، رأيتكَ تصلي فعلمت أن هناك رباً وأنه يمكنني دائماً أن أناجيه.

عندما ظننتِ أنني لم أكن أنظر ، رأيتكِ تعدين وجبة وتأخذينها لقريبة مريضة فتعلمت أنه يجب علينا أن نساعد بعضنا.

عندما ظننتَ أنني لم أكن أنظر ، رأيتكَ تبذل من وقتكَ ومالكَ لمساعدة من لا يملكون فتعلمت أن من يملك شيئاً عليه أن يهب لمن لا يملك.

عندما ظننتِ أنني لم أكن أنظر ، شعرت بكِ وأنت تقبلينني في الليل وتسدلين علي غطاء نومي فشعرت بالحب والأمان.

عندما ظننتِ أنني لم أكن أنظر ، رأيتكِ تعتنين ببيتناً وبكل ما فيه فتعلمت أنه علينا أن نحرص على كل ما وهبه الله لنا.

عندما ظننتَ أنني لم أكن أنظر ، رأيتكَ تتحمل مسؤولياتك حتى في أحلك الظروف فتعلمت أنه يجب أن أكون مسؤولاً حين أكبر.

عندما ظننتِ أنني لم أكن أنظر ، لمحت الدموع تتساقط من عينيكِ فتعلمت أنه أحياناً يحدث ما يجرحنا، ولكن لا بأس بأن نبكي.

ورأيت أبي مرة يبكي وهو جالس على سجادة الصلاة فعلمت أن لمناجاة الله لذة ودمعة.

عندما ظننتما أنني لم أكن أنظر ، تعلمت معظم دروس الحياة التي أحتاجها لأكون شخصاً صالحاً ومنتجاً عندما أكبر

عندما ظننتما أنني لم أكن أنظر ،نظرت إليكما وأردت أن أقول: أشكركما على كل الاشياء التي رأيتها منكما عندما ظننتما انني لم أكن أنظر)

أيها الإخوة:

للقدوة أثر كبير في نفس الطفل إن كانت حسنة أو غير ذلك ، ومن هنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصدق مع الأطفال في الأقوال ليتعلموا الصدق تقليداً ومحاكاة، وأمر بالصدق معهم في الأفعال.

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ: تَعَالَ هَاكَ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ** »

وأخرج أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عامر قال: جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَنَا وَأَنَا صبِيٌّ صغِيرٌ، فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا عَبْدَ اللهِ تعَالَى أُعْطِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "« **مَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ " قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ تَمْرًا. قَالَ: " أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تفْعَلِي كُتِبَ عَلَيْكِ كَذْبَةً** ».

ويحدثنا أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه كان يسمع أباه يقول شيئاً فحفظه منه وأرد عن يستفسر عنه قال: «قلتُ لأبي: يا أَبَتِ، أسمعُكَ تقولُ كلَّ غدَاة: اللَّهمَّ عافني في سمعي، اللَّهمَّ عافني في بصري، لا إِلهَ إلا أنت، تُكرِّرُها ثلاثاً حين تُصبح، وثلاثاً حين تُمسي، فقال: يا بُنيَّ، إني سمعتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم– يدعو بهنَّ، فأنا أُحِبُّ أن أَستَنَّ بِسُنَّتِهِ» .

فشَغَفُ طفل هذه السنوات –أيها الإخوة– بالتقليد والمحاكاة كبير، وعنده قدرة كبيرة جداً على الالتقاط الواعي وغير الواعي. وقد سبق في المقدمات التربوية لهذه السلسة من الخطب مقدمة تقول: **إذا أردت أن تربي أولادك فلا بد من أن تتغير**.

فلا ينفع أن نقول لابننا لا تكذب ثم يرن الهاتف ويُسأَل عن الأب فنقول : قل لهم لست موجودا.! ولا ينفع أن ندعو أبناءنا إلى حضور المساجد ولا يروننا أمامهم في المسجد.! وليس مغنياً أن تطلبي من ابنتك المحافظة على نظافتها وهي ترى البيت متسخاً، أو على رتابتها وهي ترى الفوضى مخيمة على الدار!.

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوّده أبوه

وما دان الفتى بحجا ولكن يعوده التدينَ أقربوه

روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: (ليكن أولُ ما تبدأ به من إصلاحِ بَنِيَّ إصلاحَ نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت).

وتجدونني –أيها الإخوة– في عرض مخاطر التقليد والمحاكاة عند أبناء الرابعة والخامسة والسادسة مهتماً جداً بالتعريج على **مسألة رياض الأطفال**.

هل ترسل ابنك الصغير إلى روضة الأطفال أو لا ترسله؟، وإذا أرسلته فما العمر المناسب لذلك؟ ثم ما الروضة المناسبة لطفلك؟

ذلك لأن الطفل سيجتمع بمُدَرِس أو مُدَرِسة وسيُسْقِط علاقته بأمه على مُدرِسَتِه، وعلاقته بأبيه على مُدَرِسِه، سيلتقي هناك الكبار وسيحاكيهم ويقلدهم، في مشيتهم في كلامهم في لباسهم في محبوباتهم في تعبيراتهم...!

وإليكم الملاحظات الآتية:

1- لا تستعجلوا بإرسال أبنائكم للروضة، فلن يجد طفل أفضل من أمه وأبيه ، رعاية وحناناً وتأديباً وتعليماً.

2- أفضل سن للالتحاق بالروضة الخامسة وما بعد، جاء في كتاب (**سيكلوجيا طفل الروضة**): (كلما طالت فترة الحرمان العاطفي أو البعد أو الفراق زاد التأخر – أي التأخر في التحصيل العلمي والخلقي والتربوي- وخاصة في السنوات الأولى، حيث تزداد معاناة الطفل الوثيق الصلة بأمه، وتقل هذه المعاناة إذا حدث ذلك بعد سن الخامسة، وبالفعل فإن الأطفال الذين يعانون من الحرمان يكونون أقل كفاءة أبوياً من أولئك الآخرين فيما يتعلق بحسن تربيتهم لنسلهم)

3- الديكورات والألوان وارتفاع الأسعار... معايير لا تكفي في اختيار الروضة المناسبة لطفلك.

4- السلامة والنظافة والتهوية والألعاب معايير مهمة في اختيارك لروضة طفلك.

5- الخلفية الدينية والتربوية والأخلاقية للمدرسيين والإداريين مهمة أكثر في اختيارك للروضة.

أيها الآباء أيتها الامهات :

إن عيون أبنائكم معقودة عليكم، أروهم منكم كل خير، ولا تدعوا عيونهم تتعلق بأحد من أهل الشر.

هذا شيء من المخاطر التربوية لطفل السنوات الرابعة والخامسة والسادسة، وللحديث عن تربية هؤلاء الأبناء تتمة إن شاء الله.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فالإمامُ رَاعٍ، ومَسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، والرجلُ رَاعٍ في أهله، وهو مَسؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمرأَةُ في بَيْتِ زَوجِها رَاعيةٌ، وهي مَسؤولَةٌ عن رَعيَّتِها،...والرجلُ في مالِ أبيهِ راعٍ، ومَسْؤولٌ عن رعيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وكُلُّكُم مَسؤولٌ عن رعيَّتِهِ**» البخاري ومسلم.

والحمد لله رب العالمين